

TÍTULO: "No violencia y construcción de la paz en Iraq:
el papel de la sociedad civil"

PONENTE: D. Zaid al-Wardi

CUADERNOS 1 3
ESCUELA DE TRADUCTORES DE TOLEDO



**"Interpretación Simultánea (AR-ES):
método para la enseñanza-aprendizaje"**

**Bachir Mahyub Rayaa
Mourad Zarrouk**



اللاعنف و المجتمع المدني في العراق

زيد الوردى

سيداتى، ساداتى أسعدتم مساءً:

حينما أشاهد هذا الفيلم أستطيع أن أقول أنني الآن أفضل حالا. هذا الفيلم تم تصويره في أيار 2007. لا شك أظهر في الفيلم أكثر شباب لكن حالى اليوم بكثير أفضل من تلك الأيام المؤلمة. أستطيع أن أقول أن بغداد الآن ليست تحترق.

أنا شاكر إلى الجهة التي عملت على استضافتي في بلدكم الكريم اسبانيا وكل من تعاون ابتداء من السفير الإسباني، سعادة السفير الإسباني في بغداد وليس انتهاءا بالبيت العربي بينهما الكثير من المنظمات والناشطين والجهات الحكومية التي أثبتت حسن نواياها اتجاه العراق.

أنا أسف إذ أنني لا أستطيع تقديم تحليل سياسي فأنا لست محلل سياسي، كل ما أستطيع تقديمه هو بعض مشاهداتي للوضع في العراق، كل ما أستطيع أن أقدمه هو صورة تختلف عما رأيتموه في هذا الفيلم. كما أعتذر عن أنني لن أستخدم أسماء، لن أكرر كلمة "شيعي" أو "سني" أو "كردي" أو "عربي" لأن مأساتنا بدأت من هذا التقسيم.

لست مضطر لأن أقول إن العراق بلد مثل تاريخيا مثال للتبادل الحضاري والثقافي والتعايش وإن عشرات الأقوام مرت بهذا البلد تأثرت به وأثرت وبقيت تعيش ولا زالت تعيش إلى حد هذه اللحظة في بلدي.

اللحظات الحاضرة لحظات استثنائية من تاريخ بلدنا، لا تمثل بأي شكل من الأشكال الخزين الحضاري إلهي قدمناه للبشرية منذ ستة آلاف سنة.

ما حدث من احتراب قبل سنوات بعد الاحتلال للعراق كان صراع سياسي بالدرجة الأولى على السلطة، والناس في معظم الوقت كانوا قريبين إلى بعضهم والسياسيين كانوا هم في طرفي المعادلة، ولكن للأسف فإن الناس البسطاء هم من يدفعون الثمن.

العنف في بلدي ظهر وكأنه السمة الطاغية على معظم الجماعات التي تولف هذا المجتمع. والحقيقة إن عدد محدود ربما يكون بالبلد كل ما يصل إلى الالاف القليلة حملوا السلاح وحاربوا بعضهم البعض. ولهذا السبب نرى أن ما أن السياسيين اتفقوا على أن يهدئوا الصراع حتى تراجع معدلات العنف ولو كان الصراع بين فئات المجتمع المختلفة لكانت الحرب أهلية أطول بكثير، من النادر أن تحدث حرب أهلية وتنتهي بسرعة ويلتئم الشمل.

هل انتهى الصراع في العراق؟ لا، مستحيل، لا يوجد مجتمع يخلو من الصراعات. لكن إذا كان كل تنوع يعني عنف، فماذا تقول دولة مثل الهند مثلاً؟ لا بد أن نجد لأنفسنا، لمجتمعنا طريقة نتعايش بها مع بعضنا البعض.

المؤسف إن الكثير من صفحات تاريخنا البيضاء والسوداء كان التغيير فيها يحدث بفعل السلاح... لكن المجتمع العراقي تعب من الحرب، وكلما انتهت حرب بدأت بعدها حرب أخرى ولسنوات طويلة.

لا أعرف إن كان بحثنا عن فكرة جديدة لحل النزاعات أصيل في المجتمع العراقي. هذا أمر لست متأكد منه. لكن ما أنا متأكد منه من أن هؤلاء الناس الذين شاهدتهم هم يبتسمون حين يرون المنشورات التي نقدمها، كانوا بحاجة إلى بديل وكان الشعار مغرباً لهم، التغيير بدون عنف، التغيير الاجتماعي، السياسي بدون عنف. بدأت الفكرة بالتعاون مع أصدقائنا في منطقة نونفا الإسبانية منذ عام 2005 وبدأنا بالفعل بتشكيل شبكة من مجموعة محدودة من المنظمات العراقية في أبريل 2006 واستطعنا أن نحقق أسبوع من... أطلقنا عليه تسمية أسبوع اللاعنف الأول في آخر أسابيع شهر إبريل وكان يتضمن توزيع منشور يحتوي على نص قسم من إن الشخص... إن الشخص الذي يقسم هذا القسم يتعهد أنه لن يسلك أي سلوك عنيف لا في بيته ولا في الشارع ولا مع أي إنسان خلال أسبوع اللاعنف.

وكان هذا تحدي لأنه هد المرحلة كانت قمة الصراع الطائفي لا شك نحن لا نملك أداة لمعرفة هل التزم من أقسم بهذا القسم أم لا؟ لا نستطيع. لكن كان هدفنا في تلك المرحلة هو التبشير بمفهوم اللاعنف.

في العام 2007 حينما صور هذا الفيلم كان أسبوع اللاعنفي الثاني وكان عدد المنظمات أكبر حيث بالأسبوع الأول كان العدد 13 منظمة من حوالي أربع أو خمس مدن في العراق. في الأسبوع الثاني لا، كان العدد يتجاوز 40 منظمة، ما أتذكر العدد بالضبط لكنه يتجاوز 40 منظمة.

في عام 2008 نجحنا في أن نجمع 141 منظمة من جميع مدن العراق. أستطيع أن أقول إنها تمثل أهم الفئات الموجودة في المجتمع العراقي طبقياً وسياسياً وطائفياً وعرقياً. وهذه المنظمات وناشطين مستقلين، بالإضافة إن هذه المنظمات لم يكن دورهم بسيطاً، تجاوز عددهم 200 ناشط فعلوا أكثر من... الكثير من... لا يحضرنى العدد بالضبط عدد الفعاليات التي حدثت في ذلك الأسبوع لكنها بالعشرات في مدن العراق المختلفة كل منظمة حسب طبيعتها.

نحن نسعى إلى التغيير، إلى التغيير الاجتماعي لأن التغيير دائماً كان يأتي على المستوى السياسي دون إشراك فئات المجتمع المختلفة في عملية التغيير. وهدفنا الذي نسعى إليه أن نرقي منظمات المجتمع المدني وفئات المجتمع المختلفة الممثلة بهذه المنظمات لدرجة تستطيع معها تحمل مسؤولية التغيير الاجتماعي والسياسي. فالإطار الديمقراطي الذي... نحن الآن... نستخدمه في الانتخابات البرلمانية والمناطقية في العراق بعد عام 2003 ما هو إلا إطار. هذا يعني أن الوعي الاجتماعي قد أصبح وعياً ديمقراطياً.

نحن نعي بأن عملية التغيير الوعي الاجتماعي قد تتطلب عقود من أجل الوصول إلى الهدف المنشود لكن أمني أن طريق الألف ميل يبدأ بخطوة.

نحن الآن نمثل هيكلاً مكوناً من 25 ممثلاً للمحافظات المختلفة في العراق أكثر من ربعه هم من النساء ومن هذا المجلس للمنسقين لشبكة اللاعنف يوجد ستة يمثلون مجلس الإدارة، يمثلون ست مناطق في العراق إذ حاولنا تقسيم العراق جغرافياً إلى ست مناطق، وهذا المجلس الآن يجتمع بشكل دوري إذا ما كان اجتماع... فعلي في... أحد المنظمات فالاجتماع سيكون عن طريق الإنترنت بشكل دوري وبشكل منظم من أجل تحديد هدف المرحلة القادمة.

نأمل أننا نستطيع في المستقبل أن نقوم بأكثر من عملية تبشيرية، نود أن نقيم حملات للمطالبة بالحقوق المدنية، لتعديلات قانونية، هذا أملنا للمرحلة القادمة لنرى مدى التزام هذه المنظمات بالعمل اللاعنفى وسيلة للتغيير وليس فقط أن تكون منجذبة بالعنوان المغربي للتغيير اللاعنفى.

إلتسنا بعض التغيير في سلوك مجموعة من التيارات التي استخدمت ووظفت العنف ورأينا أنها استخدمت الشعارات التي ساهمت في زرعها في خطابها ربما لأغراض تكتيكية مرحلية وليست هذه التيارات ملتزمة بالنضال اللاعنفى ولكن خطوة أفضل من لا شيء. إذا كانت هذه التيارات العنيفة طاب لها أن توظف في مناسبة هذا الشعار وهذا التكتيك اللاعنفى للتغيير فهذا يشجعنا على أنه نبذل المزيد من الجهود من أجل أن نجعل هذه المحاولات تتكرر وإذا كان لا بد أن نتقاتل دعونا نتقاتل بدون عنف، دعوا وسائل أخرى للتغيير تأخذ مجراها.

وبغض النظر عن أن هذه 141 منظمة ليست متفقة على الكثير من الموضوعات السياسية والاجتماعية والفقهية والعقائدية غير أنها على الأقل، تبدوا متفقة على أن العنف ليس حلاً.

أنا لا أود الإطالة بالحديث ولكن ما أود أن أقوله إن زيارتي هي بصدد إيجاد دعم دولي لحركة اللاعنف وأن لا يبدو وكأننا كناشطين لاعنفيين مجموعة من السذج الذين يحاولون أن... يخرقوا هذا الجدار العالي من التاريخ العنيف لبلدهم ببعض الشعارات البسيطة. فهذا ليس ما هو عليه الحال على فكرة.

نحن نحاول أن نجد الدعم، ولا أعني بالدعم المادي لأن العراق ليس بلداً فقيراً والأموال ليست هي المشكلة الأولى، نعم نحن لن نرفض أي نوع من أنواع المساعدة، ولكن الأهم من ذلك هي الدعم السياسي، الدعم التكنولوجي، الدعم المعلوماتي، الدعم التنظيمي والخبرة من بلدان سبقتنا بأشواط في هذا الميدان.

وأنا شاكر لاهتمامكم وتواجدكم في هذه القاعة لهذا اليوم كما أشكر لجميع من ساهم في وجودي في هذا المكان معكم، شكراً.

الأسئلة:

الأخ زيد، عندي سؤال.. أشكركم على محاضرتكم.. عندي سؤال:

العراق أكو أي حملة، حملة فنية... فنية، مثلا المسلسلات، أفلام، كتب... أن يشجع... يساعد... النقاش الطائفي...لأني أتذكر أن شانت واحد مغنية في "البوب آيدل"... وهي شانت تساعد المشاكل الطائفية بين السنة و الأكراد وفلان فلان... مثل فوز فريق الفوتبول يعني... أكو يعني في الطريق الفني يعني على سبيل المثال؟

الجواب:

الحقيقة النشاطات التي تقدم بهذا الصدد هي عادة حسب إمكانيات المنظمات المشاركة... استعرضنا بالفيلم واحدة من الفعاليات التي حدثت وكانت مسرحية فكرتها الأساسية كما يلي: طبعاً ليسوا ممثلين محترفين هم بعض مدرسي المدرسة مع الأطفال... فكرتها الأساسية هي إيجاد نقاش ممل بدون نتيجة يتصاعد، هذا لم يظهر بالفيلم، يتصاعد إلى حد التماسك بالأيدي بين هذول الأعضاء لدرجة أنه الجالسين يملون ثم تأتي الفكرة النهائية أن هذا ليس بالحل. لكن طبعاً نحن نعمل بإمكانياتنا المتواضعة، إمكانياتنا الفنية المتواضعة. أحيانا كانت هناك معارض فنية، معارض رسم كما حدث بالأسبوع الثاني والأسبوع الثالث في بغداد كان هناك معرض للفنانين التشكيليين معظمهم طلاب من أكاديمية الفنون الجميلة وكان هناك أيضاً فعاليات على مستوى طلبة المدارس الابتدائية، تقديم أوراق بيضاء و ألوان لل... لتلاميذ المدرسة ونطلب منهم أن يرسموا العراق أو أن يرسموا حياتهم كما يروها و كما يتمنوها، لوحتين ف... ثم يجري نقاش حول اللوحات التي رسمها هؤلاء الطلبة بهذا القدر. أما عن الكتب قمنا بترجمة مجموعة من الكتب لمؤلفين مشهورين لاغنيين كالدكتور جان ماري مولر وترجمتها إلى اللغة العربية والكردية. هذا ما بإمكاننا أن نحققه من خلال إمكانياتنا الحالية، شكراً.

الأسئلة:

الأخ زيد أهلاً بك. سعيد جداً لمعرفة وجود هذا التعاون بين بغداد وأربيل أو كما يقال في الكردية "هاولير". شكراً جزيلاً لهذا الفيلم الوثائقي الذي سمعت فيه لغتي الأم، اللغة الكردية. أريد أن أعرف كيف تعملون في منطقة كردستان أو في العراق ضغط الحكومة... هل يوجد ضغط، هل يوجد إعاقات؟ نعرف أن هناك في العراق يوجد عبارة عن ميليشيات، حكومات، لكن ميليشيات، كل واحد يملك جيشه و... ففي كردستان يوجد وزارة لحقوق الإنسان. لا أعرف إذا فعلياً يوجد فعلاً احترام لحقوق الإنسان في منطقة كردستان، وشيء آخر، أريد أن أستغل وجود ممثل وزارة الخارجية الإسبانية... أريد أن أعرف هل تتلقون فقط الدعم من المنظمات غير الحكومية في الغرب أو من الحكومات الغربية أيضاً؟ لأنه نعرف أن الحكومات الغربية فقط تدعم الرؤساء، رؤساء النظام لحفظ التوازن الإستراتيجي و هذه الأمور... فهم لا يدعمون المنظمات المدنية بشكل قوي. شكراً جزيلاً.

الجواب:

أنا سعيد لوجودك معنا أخي. أول سؤال حول التعاون بيننا وبين... أو إقامة نشاطاتنا في هولير، أربيل. الحقيقة في عام 2006 كان لنا شرف افتتاح فرع لمركز المسلة في أربيل، و إخواننا عبد الله وإبراهيم إल्ली ظهروا بالشاشة و ولي هم من مركز المسلة في أربيل يعني قبل قبل أن يكون علاقتنا مع أربيل عبر الشبكات، فاحنا عدنا جزء من جسمنا موجود في أربيل. والفكرة بدأت لفتح مكتب في أربيل أو فرع في أربيل لأننا معظم النشاطات بسبب سوء الوضع الأمني وحاجتنا إلى مدربين خبراء ليسوا دائما من الهوية العراقية كنا نضطر إلى أن نقوم بالتدريب في عمان. ومعلوم أن التدريب في عمان يعني عدد محدود من المشاركين بسبب الميزانية ويعني تكاليف سفر وإقامة مكلفة. وكان من المنطقي أن نفكر بأنه وطننا أولى ولأن إقليم كردستان آمن بالمقاييس العامة، فكرنا بفتح فرع لمركز المسلة وكان قرار صائب وناصح. والآن في حقيقة الأمر، و هذا المركز أسندنا خلال السنوات السوداء 2006 و 2007 في أنه يحتضن كل، تقريبا، كل النشاطات لدرجة أننا نفكر الآن في نقل المركز إلى أربيل وفتح... وتعريف المكتب في بغداد بأنه هو فرع للمركز وليس الأصل لأنه تقريبا معظم قدراتنا الآن هي في أربيل وليست في بغداد.

لا توجد أي اختلافات بيناتنا... بين أعضاء المسلة في بغداد أو أربيل، نتعامل مع بعضنا البعض بدون أن نفكر بهوي... بقوميتنا الحقيقية إذا كانت عربية أو كردية.

بالنسبة للتعاطي مع السلطات في العراق، نعم في... إذا نتحدث على المكتب في أربيل... هناك وزارة للحقوق... وفي أربيل وزارة - اللي لنا علاقة معها - هي وزارة الإقليم لشؤون المجتمع المدني وعلى رأسها وزير غاية في الانفتاح، تقريبا كل نشاطاتنا يحضرها في أربيل بنفسه وإن لم يكن بنفسه فبممثل قريب جدا إله... تقريبا يسوي لقاء صحفي في كل مرة يكون موجود به من أجل أن يظهر أهمية المركز... فمن هذا الجانب نحن شاكرين لوزارة الإقليم لشؤون المجتمع المدني. في بغداد المسألة أكثر صعوبة لأنه السلطات في بغداد صعب الوصول إليها أصلا، يعني عادة محاطة بأسوار بسبب التحوطات الأمنية. لكن بشكل عام، علاقتنا ليست سيئة مع السلطة، علاقتنا مع الميليشيات طبعاً حذرة أكيد، ما يراد إليها كلام، شكرا.